

حول الصوت والترجمة

أ. مبروك قلالة

أستاذ مكلف بالكروني
قسم الترجمة- جامعة وهران- العانيا

لقد ظلت الحاجة للبحث عن سبل ومناهج معرفية لتفعيل عملية الترجمة من أهداف الدراسات الترجمة القديمة والحديثة. مما أراق كثيرا من الحبر والجهد لوضع أدوات علمية لتسهيل عملية الترجمة، غير أن هذه المناهج المفقودة لدى الباحث الترجمة لازالت في حاجة إلى إستراتيجية ودراسة علمية وموضوعية تسعى من خلالها للتأسيس لأساليب علمية تجمع بين النظرية والممارسة العملية

وعليه حاولنا أن نلفت انتباه الباحث في الترجمة من خلال هذا المبحث إلى أهمية علم الأصوات ودوره في العملية الترجمة باعتباره ظاهرة لغوية ذات قيمة دلالية وجمالية في تحديد المكافئ الديناميكي السليم في اللغة الهدف كما نعتة الباحث أوجين نيدا هذا في حين يشير الباحث فيرث أنه "لا يمكن أن تتم دراسة جادة لعلم المعنى الوصفي لأية لغة... ما لم تعتمد هذه الدراسة على قواعد صوتية وأنماط تنغمية... موثوق بها وأنه لمن المستحيل أن تبدأ دراسة الصرّف بدون تحديد صوتي لعناصره أو بدون أن تعرف هذه العناصر بواسطة التلوين الصوتي كما يحدث أحيانا. أما النحو بالذات فلا تكتمل دراسته. بدون دراسة الأنماط التنغمية أو النماذج الموسيقية للكلام" (1)

فإذا كانت دراسة اللغات المعنية ترتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات الصوتية، فيمكننا إقحام المادة الصوتية ضمن حيز الدراسة الترجمة باعتبارها القناة التي يتم عبرها التبادل والنقل اللغوي وجسر تقاطع الدلالات وتقابلها وهذا إذا سلمنا بقيمة الصوت في دراسة الترجمة كما هو في دراسة الظواهر اللغوية المعنية نظرا لقيمتها ووظيفتها في تحديد المعنى وتأويله وكشف أسرار الدلالية وبالتالي إزالة اللبس عنه.

لقد عملنا على دراسة ومناقشة علم الأصوات بشقيه الفونيتيكي والفونولوجي وعلاقة ذلك بالترجمة، وهذا اعتمادا على بعض آراء جملة من الدارسين واللغويين واللسانيين وباحثين

في الترجمة قصد إلقاء الضوء على المادة الصوتية باعتبارها محورا من المحاور الأساسية المتعلقة بالدال والمدلول، وكذا دورها في نقل المعنى من لغة إلى أخرى بوصفها معيارا لغويا وترجميا ذا أهمية كبيرة في الترجمة.

يعد J.C. CATFORD من بين الباحثين الذين تحدثوا عن علاقة التطابق بين أصوات لفظ اللغة الأصل بأصوات لفظ لغة الهدف وقد نعتها بالترجمة المطلقة (2) في حالة حصول تطابق بين الأصوات اللغوية المكونة للفظين بما في ذلك اللفظين والمعنيين يضاف إلى ذلك بل يشترط التطابق بين عدد الأحرف. وقد ساق مثلا على ذلك في لفظ قط CAT بالانجليزية قد يقابلها في لغة أخرى لفظ قط بالعربية على مستوى صيغة الإفراد وصيغة الجمع، فالتطابق بين اللفظين يقول بالتطابق في الصوت وفي الترجمة.

وفي السياق نفسه ذكرت الباحثة العراقية د. خلوصي في "أن التعريب غير الترجمة فالترجمة نقل معنى وأسلوب من لغة إلى أخرى بينما التعريب هو رسم لفظة أجنبية بحروف عربية وهو ما يعرف بالنقل الصوتي للحروف transliteration وتذهب إلى اعتبارها نوعا من الترجمة الصوتية .." (3) كما هو الحال في لفظ TELEPHONE فالتطابق حاصل بين الظاهرتين غير أن الأول متعلق بالترجمة أما الثاني فبالتعريب "فالتعريب وفق هذا المفهوم يجري على صعيد المفردات أو المصطلحات بتعريب اللفظة الأجنبية téléphone بتلفون تميزا عن ترجمتها بالهاتف، أما المفهوم الثاني للتعريب وهو أقل دقة من المفهوم الأول والذي يراد به - أي المفهوم الثاني - التأليف بالعربية وجعلها لغة التعليم والإدارة والعلوم والثقافة وغيرها من الأنشطة العلمية والإنسانية." (4)

من خلال هذا تبين أن الباحثة قد أوردت لفظ الترجمة الصوتية عوض لفظ تعريب وهذا درءا للوقوع في التباس عند التلطف بلفظ تعريب، وهذا ربما لكون أنه عندما يتعلق الأمر بالافتراض اللغوي بين الأقوام الأجنبية الأخرى فيما بينها فإن مصطلح تعريب يبقى قاصرا على العرب دون غيرهم، وهو الأمر الذي يجعلنا نوافق الباحثة في إيراد مصطلح الترجمة الصوتية عوض لفظ تعريب؛ لأن الترجمة الصوتية أكثر دقة من لفظ التعريب هذا من وجهة أولى، أما من الوجهة الأخرى فلكون أن العرب في تعريبهم للألفاظ كانوا قد عولوا على علم الأصوات وهو ما سنحاول تبينه فيما سيلحق.

لقد كانت العرب تسمي اللفظ "الأعجمي" الذي أدخلته إلى لغتها معرباً ومعرباً ويقال فيه عربته العرب وأعربته والتعريب هو نقل اللفظ الأعجمي إلى العربية وليس لازماً فيه أن تتقوده به العرب على منهاجها كما قال الجواهري فما أمكن حمله على نظيره حملوه عليه وربما لم يحملوه على نظيره بل تكلموا به كما تلقوه (5).

لقد استند اللغويون العرب على علم الأصوات للفرقة بين الأعجمي والعربي سواء أكان ذلك من خلال استنادهم على الفونيمات أو على غيرها من الأصوات اللغوية في نقل المصطلحات الأجنبية إلى العربية.

دور الصوت اللغوي في تحديد هوية المصطلح

بناء على ما سبق نلاحظ أن العرب قد نقلت وأخذت عن اللغات المجاورة الأجنبية ألفاظاً كثيرة وخاصة في بداية تأسيس الحضارة العربية الإسلامية، وهو ما جعل اللغويين والمترجمين ينقلون مصطلحات كثيرة تعز في كثير من الأحيان ترجمتها فمنها ما أعرب ومنها ما أدخل إلى العربية دون قيد أو شرط ومنها ما حمل على أوزانها ويؤكد اللغويون ما نذهب إليه في قولهم "أن العلم الأعجمي بخاصة ليس بمعرب بل يقال فيه أعجمي كما يقول الفيومي"، فإن لم يحمل العرب المصطلح الأجنبي على قولهم أي تعريبه معنى ذلك أنهم أدرجوه في قاموسهم كما وجدوه بصوته ومعناه كما كان موجوداً في اللغة لأول مرة، فاللفظ أدخل صوتياً بمعجمته على نحو "زرجون"، والكلمة الفارسية دخلت من الآرامية ثم إلى العربية. ذكر الجواليقي الخمر فارسي معرب وأصله زركون أي لون الذهب، كما نجد كلمة فارسية أخرى "إبريق" معربة عن الفارسية وهي الآنية على حد قول الشاعر:

كان إبريقهم ظبي على شرف مقدم يسبب الكتان مرثوم (6)

يضاف إلى ما ذكرنا حول طرق التعريب عند العرب ما يوردونه علماء اللغة من ملاحظات قيمة حول دور الفونيمات العربية وتواليها حيث جعلوها بمثابة مقاييس استندوا عليها في التمييز بين اللفظ العربي واللفظ الأعجمي على نحو:

- لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة واحدة ومتى جانتا فاعلم أنها معربة مثل القبح

والجوق

- لا تجتمع الصاد والجيم على نحو: صنجة وصولجان وضجيج

- دال بعدها زاي مثل المهندز

”وثمة ملاحظات أخرى تتصل بوجود هونيمات متعددة في الجذور الرباعية والخماسية وقد استدل اللغويون العرب بوجودها على عربية الكلمة ويخلوها منها على أعجميتها - (على نحو قول) - الخليل ؛ فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرفة من حروف الذلق - فاعلم أنها ليست من كلام العرب وحروف الذلاقة (رل-ن-هـ-ب-م) ” (7).

دور الفونتيك في الترجمة

إن اللجوء إلى استعارة المصطلح الأجنبي واقتراضه من اللغة الأجنبية ظل مدار بحث المفكرين والدارسين واللغويين وهذا في ضوء تباين الترجمات التي باتت ضعيفة ، الأمر الذي جعل عملية التعريب تقوم مقام الترجمة وخير مثال على ذلك الكلمة الانجليزية *PHONOLOGIE* وقد تم اقتراضها وتعريبها كما هي بفونولوجيا ، وترجمتها إلى العربية ، فجماعت الترجمة متعددة متباينة وغير موحدة وغامضة ، فهناك من ترجمها إلى : علم الأصوات التشطيمي

- التشكيل الصوتي

- علم وظائف الأصوات

- علم الأصوات العام ، إلى غير ذلك من المقابلات العربية التي بلغت اثني عشر مقابل عربي ، فجاءت هذه المصطلحات متعددة ومختلفة ، وفي ظل التمايز تلقى الدارسين يرتكزون على علم الأصوات أي *la phonétique* في إعطاء المصطلح المقترض أو المترجم روحا ولونا عربيين وهذا بتمثريزه وتهذيبه فأضحى المقابل العربي يحمل طواعة دلالة عربية وهذا من خلال إضافة سابقة أو لاحقة أجنبية أو مورفيم قد يترجم وقد يبقى على حاله. هذا بالإضافة إلى جملة من الأساليب التي سلكها الدارسون لنقل اللفظة الأجنبية وترجمتها سواء بترجمة الجذر ثم إلحاقه باللاحقة بحمولتها الصوتية الأصلية والتي تشكل مقطعا صوتيا متميزا على نحو كلمة *phonème* التي ترجمت إلى صوتيم أو كلمة *morphème* والتي ترجمت إلى مورفيم وهذا رغبة من الدارس العربي الذي يحاول جاهدا محو كل آثار اللغة الأجنبية ، وهو الأمر الذي دفعه إلى الجمع بين الترجمة والتعريب في لفظة واحدة وبالتالي تركيب المقابل العربي الذي ينتهي بصوت لغوي يؤكد إلى حد بعيد الصورة الصوتية المطابقة الصحيحة للفظ الأجنبي.

لقد ظل العرب يبحثون عن سبل ووسائل ناجعة لإخراج المصطلح ونقله إلى العربية وخير مثال على ذلك ترجمتهم لمصطلح موبيل *mobile* والذي ترجموه إلى العربية بلفظ نقال وجوال وخلوي ومحمول، فاختلقت الترجمات وتعددت السبل وتبوعت الاستعمالات من بلد عربي إلى بلد عربي آخر وسنحاول أن نقف على الترجمة والتعليق عليها، ميزتين دور الصوت اللغوي في تحديد المقابل العربي متطرقين إلى المبادئ المعتمدة من قبل الدارسين في إخراج المصطلح بشكل عام والمصطلح العربي بشكل خاص؛ فإذا كان أرسطو قد حدد مقولات الوجود انطلاقاً من " ... الجوهر وأعراضه التسعة، الكيف، والكم، والإضافة، والمتى، والأين، والفعل، والانفعال، والملك، وكميات أو محمولات (ورثيوس) الخمس. الجنس والنوع والفصل والخاصة ... أم أن ميدانه الحقيقي هو علم الدلالة والصرف وعلم الأصوات بما فيها من فونيم و مورفيم وسيميم ولكسيم وكرافيم. ويذهب اللغويون إلى أن معنى الكلمة يحدده السياق ويذهب المصطلحون إلى أن معنى المصطلح تحدده خصائص المفهوم الذي تعبر عنه العلاقات القائمة بين هذا المفهوم وبقية المفاهيم في المنظومة المفهومية للحقل العلمي الذي تنتمي إليه " (8)

هذا في حين يرى أحد أئمة اللغة الشيخ ابن سينا في وضع المصطلحات " للتدليل على الحذر الشديد الذي كانوا يتوخونه في إطار الوضع المصطلحي، يقول ابن سينا : إن الأمراض ليصطلح على أسمائها ومعانيها إما من الأعضاء الحاملة لها (كذات الرئة). وإما من أعراضها (كالصرع). وإما من أسبابها كقولهم (مرض سوداوي). وإما من التشبيه كقولهم (داء الأسد). وكداء الفيل) وإما إلى أول من يذكر أنه عرض له كقولهم (قرحة طيلانية) منسوبة إلى رجل يقال له طيلان . وإما منسوبة إلى بلدة يكثر حدوث هذا المرض فيها كقولهم (القروح البلخية) وإما منسوبة إلى من كان مشهوراً بالأنجاع في معالجتها (كالقرحة السيرونية) وإما من جواهرها وذواتها ... " (9)

فإذا كان الاتفاق على الاصطلاح ينحى منحى خاصاً يعتمد إما على وجه أو وجهين أو على جوهر أو على معنى ... فإننا نعتقد أن استعمال المصطلح يجب أن يتم وفق الحدود التي أشار إليها أرسطو وبينها ابن سينا فنقول أن كلمة *mobile* تعددت مقابلاتها حسب معايير الاصطلاح التي بينه ابن سينا وأرسطو، هذا بالإضافة إلى أنه لو حاولنا أن نربط واحداً من

هذه المقابلات وليكن يقال وسعينا إلى ربط ذلك بعلم الأصوات لرأينا أنه في الأصول اللغوية التي تبدأ بالنون توحى بأكثر من دلالة من بينها القول بإبتداء الحركة وكل كلمة تنتهي بالنون إلا ودلت على المسكون (10) هذا إذا سلمنا بأن الأصول أي الألفاظ تحدد دلالتها من حرقها الأول.

يضاف إلى هذا الترجمة الأدبية التي ظلت محل جدال على الرغم مما قدمته من إسهامات في إثراء العملية الإبداعية المتعثرة في بحث تلك الآداب التي أصابها شيئا من الوهن على مستوى التخيل والتركيب فأصبحت ضعيفة لا تقدم إلا ما هو سقيم، وهو ما جعل هذه الترجمات تفرق بجملة من التوصيات قصد تفعيلها وتوجيهها وبالتالي تحقيق الفنية ذاتها في النصوص المترجمة على نحو ما يذكر الباحث *Even Zohar* حيث يوصي انطلاقا من جملة من المعايير للوقوف على الترجمة الأدبية في أنه " يجب الأخذ بعين الاعتبار كل الخصائص المتعلقة بالنص انطلاقا من العناصر الصوتية الإيقاعية وصولا إلى العناصر الدقيقة كالتبرأ أو الأكثر شمولية كالتنوع الأدبي ومستويات اللغة ... " (11) يوصي الباحث المذكور بأهم العناصر التي يجب توظيفها في ترجمة النصوص الأدبية بما في ذلك الجانب الصوتي وهو الجانب الذي نعتقد أن له ضلع قوية في حيافة وتميز وصنع شعرية النص المترجم وحياته وبث الروح فيه، وقد يوافقنا الرأي ذاته الباحث كوهين الذي نراه يعطي للجانب الصوتي وظيفة جمالية وزخرفية فإذا كان الصوت مرتبطا بالجمالية فإنه يتقاطع حتما مع مميزات النص الأدبي في جماليته، هذه الجمالية التي ظل المترجم حريصا على تحقيقها، في حين تلقى الناقد تودوروف ينعتها بإيقاع واه وضعيف بالنظر إلى الفوارق الموجودة بين اللغات مدرجا إياها في التبليغ التافه والهرق والسخرية؛ فإذا كانت المادة الصوتية لا ترتبط إلا بالخطابات الساخرة فإننا نعتقد أن هذه الخطابات كثيرا ما تحترف الأسلوب الساخر وتوظفه قصد تبليغ رسالة ما، لا يمكن فهمها أو التمتع برناتها إلا بالعودة إلى تحقيق الرنات ذاتها أو المقابلة لها في النص الأدبي المترجم، إلا أنه لا يستبعد أن يكون للمادة الصوتية في الترجمة شأننا بجوار العناصر الترجيمية الأخرى التي نستعين بها في إخراج الترجمة وتحقيق المعنى. (12)

قائمة المراجع

- (1) - د سماعيل بشر علم الأصوات دار غريب للطباعة القاهرة 2000. ص 606
- (2) J.C.Catford *a linguistic theory of translation* oxford university press 1965
- p23.
- (3) - (4) - عبد الباقى الصايل مقدمة في بيدولوجيات الترجمة المهارات والستراتيجيات. مجلة ترجمان ج 1 ع 1 أبريل 1662 متروسة للتحفظهد العليا للترجمة بمتنجة لغريب ص 54
- (5) - د محمد حسن عبد العزيز التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ العربية دار الفكر العربي ص 47
- (6) عبد الكريم محمد حسن حيل علم الدلالة دار المعرفة الجامعية 1997. ص 310
- (7) - د محمد حسن عبد العزيز التعريب في القديم والحديث ص 63
- (8) - د علي القاسمي علم المصطلح بين علم اللغة وبين علم النطق مجلة اللسان العربي ج 30. 1988. مكتب تنسيق التعريب الرباط لغريب : ص 83
- (9) - جواد حسني عبد الرحيم سماعته. المصطلحية العربية (التباين النحوي واشكالية التوحيد) اللسان العربي ع 37. 1993. ص 162
- (10) - يحيى عبد الرؤوف جبر الصوت لفظا ومعنى اللسان العربي ع 37. ص 34
- (11) Ines Oseki Depre *theories et pratiques de la traduction littéraire* armond colin Paris 1999 : p 73
- (12) Daoud briki *le materiel phonique et la traduction* revue tarjuman V1. N1 1992. p 54

